محاضرة الحماسة في الشعر العربي

مفهوم الحماسة وبيئتها: (ليست الحماسة غرضا شعريا قائما بذاته، ضمن أغراض الشعر العربي المعروفة؛ التقليدي منها والمحدث. وإنما هي أبيات ومقاطع شعرية نعثر عليها ضمن أغراض الشعر الكلاسيكية المختلفة؛ من مدح ورثاء وفخر وهجاء)[1]. تصف الحماسة الشجاعة في الحرب والبطولة فيها، وتتغنى بخصال القادة ومآثرهم، وتمجّد إنجازاتهم العسكرية، وهي (بهذا المعنى تقترن بمعاني الشعر العربي المعروفة، والتي كان النقاد القدامى قد ضبطوها فيما **يعرف بالفضائل الأربع؛ أي: العقل والعفة والعدل والشجاعة.** وعلى فضيلة الشجاعة تدور معاني الحماسة، إذ هي ليست في المحصلة إلا تنويعا وتوسيعا وتعميقا لفضيلة الشجاعة)[2].

(كانت حروب القبائل في العصر الجاهلي مناسبة مهمّة، وموضوعا أثيرا، أنتج قصائد حماسية شهيرة، كمعلقتي عمرو بن كلثوم، أو عنترة العبسي، أو غيرهما... وستظل هذه المعاني الحماسية تلهب قرائح الشعراء وفقا لاشتداد الحروب والمواجهات في البلاد الإسلامية، فكان من الطبيعي أن تعلو أصوات الشعر الحماسي في العصر العباسي، وما تلاه من عصور، فكان من أعلام هذا الشعر في هذه العصور: أبو تمام وأبو الطيب المتنبي وابن هانئ الأندلسي)[3].

يقول جهاد فاضل: (الحماسة تعني في الأصل معنى الشجاعة، وتقترن بمعاني البطولة عمومًا كالبأس والإقدام، لكنها اقترنت أساسًا بالحرب، فكانت تعكس انفعالات الشاعر إزاء وقائعها وعتادها وعدّتها، وغير ذلك من لوازم الحروب. وهي ليست نهجًا جديدًا، بل هي نزعة ضاربة بجذورها في القدم، حيث برزت منذ ميلاد الشعر العربي في طوره الجاهلي. ولكنها كانت تقوى وتفتر من حين لآخر، حسب متطلبات الواقع الحضاري. وقد كانت حاضرة في أغلب الأغراض الجادّة، كالمدح والرثاء والفخر والهجاء. فبرز في الجاهلية النابغة، وطرفة، والأعشى، وعنترة وغيرهم، كما برز في العصر الأموي الأخطل وجرير والفرزدق).

(و"الحماسة" هي البسالة في الحرب، مع الشّجاعة)[4].

---

[1] مبروك المعشاوي وتوفيق العرفاوي: شعرية النص الحماسي عند ابي تمام والمتنبي وابن هانئ.

[2] مبروك المعشاوي وتوفيق العرفاوي: شعرية النص الحماسي عند ابي تمام والمتنبي وابن هانئ.

[3] مبروك المعشاوي وتوفيق العرفاوي: شعرية النص الحماسي عند ابي تمام والمتنبي وابن هانئ.

[4] صدر الدين بن لحسين البصري: الحماسة البصرية الجزء الأول، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد، الهند، 1964، ص: 02.

(لما كانت الحماسة ترجع في معانيها إلى معنى مركزي في الشعر العربي هو الشجاعة أو البأس، فإن الشعراء يعمدون، في المقاطع الحماسية، إلى توسيع هذا المعنى وتفصيله، وتوليد معاني جديدة ومتنوعة منه. ويتمّ ذلك عبر الإلحاح في تصوير المشاهد الحربية، وإطالة اللوحات الوصفية؛ فيقيم الشاعر في صلب القصيدة وحدات سردية تكوّن، متى جمعناها، ما يمكن تسميته بنواة قصصية حربية، تتوفّر فيها عناصر القص المعروفة، من شخصيات وأحداث وأمكنة وأزمنة. وتتعلق هذه اللوحات برصد أعمال القادة والجيوش، وفي هذا السياق تقوى الوظيفة الإخبارية التاريخية في صميم القصيدة، أو يعمل الشاعر على الإيهام بذلك)[1].

أهمية ديوان الحماسة لأبي تمام: (نال ديوان الحماسة من الشهرة في العالم العربي ما يستحقه، ففي الحق أنّ اختيار أبي تمام كان اختيارا موفقا، لأنّ جامعه شاعر ممتاز، مكّنه شعرُه من أن يختار أحسنَ ما تقع عليه عينُه، وما تسمعه أذنُه، وهو إلى جانب ذلك شاعر كبير من شعراء المعاني، فكان هذا أيضا محور اختياره، ولذلك فقد يقرأ القصيدة الطويلة كلها، فيعجبه منها معنى أو معنيان، فيختارهما من بين القصيدة الطويلة، وإذا لم يكن بينهما رابطٌ ربطَ بينهما، وإذا كانت هناك كلمة نابيّة غيّرها بخير منها، فكان مختارا ومُنقّحا في وقت واحد، وكان له أيضا فضلُ تبويب الشّعر، فإنّا لا نرى أحدا قبله قسّم الشّعرَ هذا التّقسيم؛ فأوّلا كانت حركةُ الجمع، وثانيا كانت حركة الاختيار حيثما اتّفق في النّظم، كـ"المفضّليّات" و"الأصمعيّات"، وفي النّثر كـ"أمالي" القالي، ثمّ جاءت حركة الاختيار المبوّب، ولعلّ فاتحتَها كان أبا تمّام)[2].

تسميته: (ويظهر انّ العادة فشتْ أوّلا في أنْ يُسمّى الكلّ باسم أيِّ جزء، حتّى في تسميّة القرآن؛ فسمّيتْ سورة البقرة لآيةٍ فيها هي البقرة، وسورة الأنعام كذلك، وسورة النّمل كذلك، ثمّ فشت عادة تسميّة الشّيء بأوّله، فسُمّي العينُ للخليل، لأنّ أوّلَ أبوابه باب العين، وسمّى أبو تمّام ديوانَه بالحماسة كذلك)[3].

و(ليس يُدرى أمرُ هذه التّسمية، أهي من صنيع أبي تمّام نفسه، أم هي عُرفٌ جرى بين الأدباء، وشهرة سارت على وجه الدّهر، حتّى تأدّتْ إلينا جيلا بعد جيل. فليس هذا الدّيوان ديوان حماسة فحسب، ولكنّه يجمع إلى الحماسة المراثيَ والأدبَ والنّسيبَ والهجاءَ والأضيافَ والمديحَ والسّيرَ... والظّاهرُ أنّ أبا تمّام سمّاه بأوّل أبوابه وأعظمها)[4].

---

[1] مبروك المعشاوي وتوفيق العرفاوي: شعرية النص الحماسي عند ابي تمام والمتنبي وابن هانئ.

[2] شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي، نشره: أحمد أمين عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1991، ص: 3.

[3] شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي، ص: 3.

[4] شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي، ص: 7.

سبب تأليف الحماسة: (وقد اقتصّ لنا التّبريزيّ في مقدّمة شرح الحماسة أنّ أبا تمّام كان قد قصد عبد الله بن طاهر وهو بخراسان، فمدحه وأثابه، وعاد من خراسان يريد العراق، فلمّا دخل العراقَ اغتنمه أبو الوفاء بن سلمة فأنزله وأكرمه، فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلجٌ عظيمٌ قطع الطّريق ومنع السّابلة، فغمَّ أبا تمّام ذلك وأحرجَ صدره، على حين سرّ ذلك مضيفَه أبا الوفاء، فأقبل على أبي تمّام وقال له: وطّنْ نفسَك على هذا المقام، فإنّ هذا الثّلجَ لا ينحسر إلاّ بعد زمان. وأحضره خزانةَ كتبه فطالعها واشتغل بها، وصنّف خمسة كتب في الشّعر منها كتاب الحماسة والوحشيّات، وهي قصائد طوالٌ)[1].

شيوعه: ويقول التّبريزيّ: (إنّ كتاب الحماسة بقي في خزائن آل سلمة يضنُّون به ولا يكادون يبرزونه لأحدٍ حتّى تغيّرتْ أحوالُهم. وورد همذان رجلٌ من أهل دينور يُعرف بأبي العواذل، فظفر به وحمله إلى أصبهان، فأقبل أدباؤها عليه ورفضوا ما عداه من الكتب المصنّفة في معناه، فشهر فيهم ثمّ فيمن يليهم)[2].

أهميته: (وقد نفهم من نصّ التّبريزيّ: "ورفضوا ما عداه من الكتب المصنّفة في معناه" أنّ أبا تمّام قد سبق في هذا الضّرب من الاختيار، وأرى أنه إنّما يعني مطلق كتب الاختيار كالمضّليّات والأصمعيّات والمغلّقات)[3].

شُراح كتاب الحماسة: (كانت وفاة التّبريزيّ في سنة 502 من الهجرة، ويُعدُّ المرزوقيّ من أقدم الشّراح؛ إذ كان بين وفاته في سنة 421 للهجرة، ووفاة أبي تمّام في سنة 231 للهجرة نحو مائة وتسعين سنة)[4].

أهمية شرح المرزوقي: (وشرح المرزوقي يُعدُّ أكبر الشّروح التي وصلت إلينا، وأكثرها عناية بمعاني الشّعر، وبالنقد والموازنة، على حين لم تفته العنايةُ باللغة والاشتقاق، وكذل العناية التي لا إسراف فيها بمسائل النحو والتّصريف. لكنّه قد فاته كثير من أخبار الشّعر ومناسباته، والكلام على أسماء الشّعراء واشتقاق أعلامهم وهما الميزتان اللّتان امتاز بهما التّبريزيّ عليه. والتّبريزيّ في هذه النّاحية الأولى قد أفاد من شرح أبي رياش للحماسة - ويبدو أن كتاب أبي رياش لم يقع للمرزوقي حتى يمكنه الانتفاع به كما صنع التّبريزيّ - وفي النّاحية الأخرى قد أفاد من شرح أبي هلال العسكريّ، ومن المبهج لابن جِنّي)[5].

---

[1] شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي، ص: 8.

[2] شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي، ص: 8.

[3] شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي، ص: 9.

[4] شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي، ص: 16.

[5] شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي، ص: 16.

(ويمتاز شرح المرزوقي بمقدمته النفيسة الجريئة التي تُعدّ وثيقة هامّة في تاريخ النّقد الأدبيّ: نقد الشّعر ونقد النّثر، ضمّنها مسائلَ شتّى تتعلّق بموازنة النّظم والنّثر أيُّهما أشرف وأعلى قدَرا، ويتبع ذلك الكلامُ على المقايسة بين منزلة الشّاعر والكاتب، والعلّة في كثرة الشّعراء وكثرة النُّثَّرِ، ولماذا لا يستطيع الأديبُ أن يجمع الإجادةَ في صناعتيْ النّظم والنّثر؟ وما أثر الصّنعة والطّبع في الآثار لأدبيّة، في قيمتها وفي جمالها؟ ومتى تُستحسنُ الصّنعةُ؟ وما مدى العلاقة بين ذوق الأديب فيما يصنع بيانَه من إنتاج أدبيٍّ وفيما يختار من بيان غيرِه؟ وهذه المسألةُ مبنيّةٌ على ما صنع أبو تمّام في اختيار الحماسة، إذْ كان ذوقه في ذلك الاختيار مخالفا لذوقه في نسج شعره وصناعته مخالفةً ظاهرةً. وقد أجاد المرزوقي في جواب هذه المسألة بما يُعدُّ مثالا في البيان، وغاية في إصابة الحكم)[1].

أهم شرحين للحماسة: (على أنّ الذي يعنينا من هذه الشّروح شرحان، هما شرحا المرزوقي والتّبريزي، والمرزوقي متقدّم على التّبريزي، بين وفاتهما نحو إحدى وثمانين سنة)[2].

براعة اختيار أبي تمّام: (انتزع إعجاب القدماء حتّى يقول المرزوقي: "وقع الإجماع من النّقاد على أنّه لم يتّفق في اختيار المقطّعات أنقى ممّا جمعه، ولا في اختيار المقصدات أوفى ممّا دوّنه المفضّل ونقده"، ويقول التّبريزي: "قالوا: إنّ أبا تمّام في اختياره الحماسة أشعر منه في شعره")[3].

يقول المرزوقي: (وهذا الرّجل لم يعمد من الشّعراء إلى المشتهرين منهم دون الأَغْفَالِ، ولا من الشّعر إلى المتردّد في الأفواه، المجيب لكلّ داع، بل اعتسف في دواوين الشّعراء جاهليّهم ومخضرمهم، وإسلاميّهم ومولَّدِهم، واختطف منها الأرواح دون الأشباح، واخترف الأثمارَ دون الأكمام، وجمعه ما يوافق نظمَه ويخالفه، لأنّ ضروب الاختيار لم تَخْفَ عليه، وطرقَ الإحسان والاستحسان لم تستتر عنه؛ حتّى أنّك تراه ينتهي إلى البيت الجيّد فيه لفظة تشينه، فيجبر نقيصته من عنده، ويبدّل الكلمة بأختها في نقده، وهذا يَبِينُ لمن رجع إلى دواوينهم فقابل ما في اختياره بها)[4].

---

[1] شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي، ص: 17.

[2] شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي، ص: 15.

[3] شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي، ص: 10.

[4] شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي، ص: 9.

تفسير الحماسة نثرا: (وهناك ضرب آخر طريف في التّفسير، عمد فيه صاحبه إلى نثر أبيات الحماسة، مُجلّيا بذلك معانيها الغامضة. وصاحب هذا التّفسير، هو أبو سعيد علي بن محمد الكاتب المتوفي سنة 414هـ، وقد صنع كتابه هذا لبهاء الدولة بن بويه، وسمّاه منثور البهائيّ)[1].

الحمسة الصغرى، أو كتاب الوحشيات لأبي تمام: (وإنما سمّاه أبو تمام "الوحشيات" لأنّ هذه المقاطيع أوابد وشوارد لا تُعرفُ عامّةً، وأغلبُها للمُقِلّين من الشّعراء أو المغمورين منهم)[2].

(وجدت القاضي الباقلاّني - توفّي في ذي الحجّة 403هـ - قد ذكره في كتابه: "إعجاز القرآن": 177، فقال: "والأعدل في الاختيار ما سلكه أبو تمام، من الجنس الذي جمعه في كتاب الحماسة، وما اختاره من الوحشيات، وذلك أنه تنكّب المستنكر الوحشي، والمبتذل العامّي، وأتى بالواسطة")[3].

الحماسة والأوضاع التاريخية: (إن النزعة الحماسية وثيقة الصلة **بالأوضاع الحضارية والتاريخية** التي نشأ فيها الشاعر، لذلك تبرز هذه النزعة طورًا وتفتر آخر. ففي القرنين الثالث والرابع، استشعر بعض الشعراء الخطر المحدق بالحضارة العربية بسبب تشتت الخلافة المركزية ومقارعة الغرب لتخوم الدويلات المشتتة، فكان لزامًا على الشاعر أن يحفّز الهمم من جديد ويعبئ الأمة للذود عن البلاد).

الحماسة وطبيعة الشاعر: (كما أن **طبيعة الشاعر** الميالة إلى الطموح والشعور بالعظمة، جعلت المتنبي والآخرين يختارون مسلك الحماسة لتحقيق مفهوم كمال الرجال).

الحماسة وطبيعة النّاثر: (وهناك أيضًا **دافع تكويني يتلخص في قاعدة التلمذة**؛ كان المتنبي ينهل من معين أبي تمام ويطوّر محصوله الفني والفكري تمامًا مثلما متح ابن هاني الأندلسي من أبي الطيب وسار في فلكه. وفي المقابل أفاد أبو تمام من شعراء الحماسة السابقين منذ العصر الجاهلي مرورًا بالعصر الأموي فالعباسي).

الفخر وطبيعته: (الفخر.. يرتبط غالبًا بالشجاعة، والكرم، والوفاء، والحلم، وعراقة الأصل، وحماية الجار والنزيل، ومنع الحريم.. ولا يلتزم الفخر بالحقائق التاريخية، بل يعمد إلى المبالغة والتهويل، وإطلاق الخيال).

الفخر الذاتي في الجاهلية: (كان في الجاهلية الفخر الذاتي، وفيه يفخر الشاعر بنفسه، قاصرًا فخره عليها، غير ملتفت لسواه. وكان هذا النوع من الفخر كثيرًا جدًا، وإلى جانبه وُجد الفخر الاجتماعي.. وفيه يتغنى الشاعر بأمجاد قومه، ويشيد بمنعتهم وعزتهم، ويسجل مفاخرهم مباهيًا بها).

---

[1] شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي، ص: 15.

[2] أبو تمام حبيب بن أوس الطائي: كتاب الوحشيات وهو الحماسة الصغرى، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار المعارف، ط 3، مصر، ص: 6.

[3] أبو تمام حبيب بن أوس الطائي: كتاب الوحشيات وهو الحماسة الصغرى، ص: 11.

الفخر الذاتي في شعر عنترة العبسي، حيث يفخر بنفسه، ويتغنى بفروسيته، غيرَ آبه بأحدٍ سواه:

أثنى عليّ بما علمتِ فإنني ... سمحٌ مخالقتي إذا لمْ أُظْلَمِ

فإذا ظُلمتُ فإنّ ظلمي باسلٌ ... مرٌّ مذاقتُه كطعم العلقمِ

هلاَّ سألتِ الخيلَ يا ابنةَ مالكٍ ... إنْ كنتِ جاهلةً بما لمْ تعلمي

يخبركِ منْ شهدَ الوقيعةَ أنَّني ... أغشى الوغى، وأَعِفُّ عندَ المغنمِ

ولقدْ شَفَى نفسي وأبرأَ سقمَها ... قيلُ الفوارسِ وَيْكَ عنترَ أقدمِ

فهو شعر، يدور حول نفسه فقط، وهو يتغنى بكل ما تغنى به العرب قديما: الشجاعة، والبطولة، والكرم، وعفة النفس.

الفخر بالجماعة في الجاهلية: ولكننا نجد شاعرًا آخر، في الجاهلية دائما، هو **المرقش الأكبر** يفخر بقومه، ويراهم جميعًا أبطالا كراما، وفرسانا شجعانا، متفردين، ذوي مروءة... يقول:

شُعثٌ مقادِمُنا، نُهبى مراجلُنا ... نأسو بأموالنا آثارَ أيدينا

المُطعمون إذا هبّتْ شآميّةٌ ... وخيرُ نادٍ رآه الناّسُ نادينا

إنْ تبتدرْ غايةٌ يومًا لمكرمةٍ ... تلقَ السّوابقَ منَّا والمصلِّينا

وليس يهلكُ منَّا سيِّدٌ أبدًا ... إلاّ افتدَيْنا[1] غلامًا سيِّدًا فينا

إنّا لنُرخصُ يومَ الرّوعِ أنفسَنَا ... ولو نسامُ بها في الأمنِ أغلينا[2]

إنَّا لمنْ معشرٍ أفنى أوائلُهمْ ... قيلَ الكُماةِ: ألا أينَ المُحامونا؟[3]

لو كان في الألْفِ منّا واحدٌ فدعوا ... مَنْ فارسٌ؟ خالهم إيّاه يعنونا

ونركبُ الكُرْهَ أحيانًا فيفرجُه ... عنّا الحفاظُ، وأسيافٌ تُوَاتينا[4]

فالمرقش لا يلتفت إلى نفسه، وإنما يتغنى بأمجاد قبيلته، ويعدد مفاخرها، وهو فرد منها، يناله ما يناله.

دواعي الحماسة في الجاهلية: كان للشعر الحماسي في **العصر الجاهلي** دواع كثيرة، منها **قسوة الحياة وشدة مخاطرها**، فهنا يرتحل العربي من مكان إلى آخر طلبًا للماء، وانتجاعًا للكلأ، ولا يحصل عليهما إلا بعناء ومشقة، فإذا جاء غريب وزاحمه فيهما، كان هناك الكر والفر، والجلاد والصراع، ثم بعد ذلك الثأر، ولقاء الأبطال بالأبطال، ولقاء الكلمات

---

[1] ربّينا.

[2] الرّوع: الشّدّة والخوف. نُسامُ: نُساوم.

[3] الكماة: مفردها كَمِيٌّ، وهو الشّجاع أو لابس السّلاح، سُمّي به لأنّه كمى نفسه، أي سترها بالدرع.

[4] ديوان المرقشين، المرقش الأكبر والمرقش الأصغر، تحقيق كارين صادر، دار صادر، ط 1، بيروت، 1998، ص: 80.

بالكلمات، وكذلك شدة حفاظ البدوي على شرفه وعلى جاره، فإن تعدى عليهما معتد، أشعل نار الحرب والقتال، وأذكى بذلك القرائح، ففاضت قرائح الشعراء.

من ذلك نرى أن كل ما كان داعيًا إلى إثارة الحرب كان بدوره داعيًا لقول شعر الحماسة، وكانت أيام العرب - وما أكثرها - من أهم أسباب الشعر الحماسي.

الفخر في العصر الإسلامي: ونراه في **العصر الإسلامي** والأموي ممتزجًا بفكرة الفتح، وبالحماسة الحربية الدينية، وبما يؤديه الأبطال في سبيل نصرة الدين الحنيف. كقول النابغة الجعدي:

بلغنا السّماءَ بِجدِّنا وجدودِنا ... وإنَّا لنرجو فوق ذلك مظهرَا

ولا خيرَ في حِلْمٍ إذا لم تكنْ له ... بوادرُ تحمي صفوَه أنْ يُكَدَّرَا

ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكنْ له ... حليمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أصدرَا[1]

ومثل هذا الفخر لا يختلف عن سابقه في العصر الجاهلي، إلا في مصدره الديني، وصبغته الدينية الجديدة، وخروجه عن حدود الفردية والقبلية الضيقة المتعصبة، إلى آفاق الإسلام الرحبة.

الحماسة الإسلامية: (فالحماسة الإسلامية هادفة تريد خدمة الدين الحنيف ونصرته، وليست ظالمة ولا معتدية، بل تستمد قوتها من الدين الحنيف الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.. ومن هنا ترى: **أن الإسلام صحح مسيرة الحماسة وجعلها في سبيل الله.** وبذلك انتصر المسلمون وزلزلوا أعداءهم، وكان الواحد منهم لا يبالي أوقع على الموت أم وقع عليه الموت).

رؤية الشاعر الحماسي: (هذه الأفعال غالبا ما تسند إلى البطل القائد العسكري على هيئات متنوعة لكنها تلتقي في الدلالة على فاعليته التي تستقطبها ذات البطل استقطابا بموجبه يتحوّل الجيش والفرسان وسائر عناصر المعركة امتدادا لذاته المتفردة. وأمام ذلك تنهض المقابلة بتعميق تلك الدلالات فلا يستأثر العدو من الأفعال إلا ما به يتأكّد عجزه عن المطاولة وافتقاره إلى الشجاعة العسكرية ومستلزماتها القيمية والفعلية)[2].

يقول أبو تمام في إحدى قصائده:

لاقاك (بَابَكُ) وهو يزأر، فاذثنى ... وزئيره قد عاد وهو أذين

لما رأى علمك، ولّى هاربا ... ولكفره طرف عليه سخين

أوقعت في أَبْرَشْتَوِيمَ وقائعا ... أضحكن سنّ الدين وهو حزين

---

[1] ديوان النابغة الجعدي، تحقيق واضح الصمد، دار صادر، ط 1، بيروت، 1998، ص: 54.

[2] مبروك المعشاوي وتوفيق العرفاوي: شعرية النص الحماسي عند ابي تمام والمتنبي وابن هانئ.

أوســـعتهم ضـــر با تـ هدّ به الكلى و يخفّ مـ نه الـمرء و هو ر كين[1]

السرد والوصف في الحماسة: (ولا تقتصر هذه المقاطع القصصية على الأحداث تسرد، بل كثيرا ما تنفتح على الوصف يخص به الشاعر جملة متنوعة من الموصوفات. مما يغتذي الطابع الملحمي ويمثل وقائع الحرب في الأذهان)[2].

قال بن الأثير عن المتنبي: (أنّه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها، وأشجع من أبطالها، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها، حتى تظن الفريقين قد تقابلا، والسلاحين قد تواصلا).

(هذه السردية ليست مجرد استنساخ لما وقع. بل لعل الأحداث والوقائع مجرد منطلق للقول وقادح عليه.لذلك قيل عن شعر المتنبي الحماسي **"ليس وصف حروب بقدر ما هو حروب وصف"**. ولذلك كانت صور القادة في هذا الشعر مجافية لصورهم في التاريخ. فالقائد مانويل مثلا، كان على ضرب من الدهاء والشجاعة وإعياء الخصم غير ما نستفيده من صورته في شعر الطائي)[3].

(إنّ التاريخ وهو يحضر في النص الحماسي، يتخذ وجها أدبيا ينهض بوظائف غير التأريخ والتسجيل، ليكون ذريعة للتأثير في القارئ وعطفه على جملة من القيم)[4].

(التصوير الشعري إعادة تشكيل للعالم وبناء لموجوداته على غير الهيئة التي عهدنا، ولما كان الشعر الحماسي يضج بمقاطع وصفية تتعلق بالحرب والوقائع وتتبع تفاصيلها وعناصرها، كانت الصورة الشعرية من أهم وسائل قوله)[5].

الوصف الدقيق: وهو وصف تسجيلي للأحداث والوقائع يستقصي الموضوع ويحدد الأماكن (عمورية، الحدث الحمراء، قسطنطينة...)، والأزمنة، ويعيّن الأبطال والأعداء (أبو سعيد الثغري، المعتصم، سيف الدولة، المعز، مانويل،...)، فتنزع الصورة إلى المطابقة.

وفي هذا الشعر تصوير لمعارك حية نابضة بأبطالها وخيلها وسيوفها وأناشيدها، ووصف لأبطالها بالشدة والشجاعة والبأس، ورجاحة العقل في الكر والفر، مع غلو في التصوير، من خلال المبالغة في وصف امتداد الجيش، واحتلاله الأرض.

---

[1] ديوان أبي تمّام، شرح الخطيب التبريزي، المجلّد 3، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، ط 4، القاهرة، ص: 319.

[2] مبروك المعشاوي وتوفيق العرفاوي: شعرية النص الحماسي عند ابي تمام والمتنبي وابن هانئ.

[3] مبروك المعشاوي وتوفيق العرفاوي: شعرية النص الحماسي عند ابي تمام والمتنبي وابن هانئ.

[4] مبروك المعشاوي وتوفيق العرفاوي: شعرية النص الحماسي عند ابي تمام والمتنبي وابن هانئ.

[5] مبروك المعشاوي وتوفيق العرفاوي: شعرية النص الحماسي عند ابي تمام والمتنبي وابن هانئ.

اقتران الحماسة بالفخر: (عرف الشعر العربي الحماسة منذ الجاهلية، واقترنت في الشعر الجاهلي وشعر صدر الإسلام بالفخر القبلي خاصة، وقد تحددت هذه الحماسة ضمن جملة من المعاني أهمها: الشجاعة والبطولة الحربية، ووصف الجيوش، والسلاح، وتصوير المعارك ومشاهد القتال.

هذه المعاني الحماسيّة، مثّلت أهم المصادر التي اعتمدها شعراء الحماسة في العصور اللاحقة منذ أبي تمام وصولا إلى المتنبي وابن هانئ).

(قلنا إن شعر الحماسة عند أبي الطيب يتخلل مختلف الأغراض، وخاصة منها المدح والرثاء والفخر، بمعنى أن الغرض يظل القوة الموجهة للقول، وإنْ بعض المدحيات مثلا على الحماسة في مجملها، لكن هذه الملاحظة لا تنفي وجود خصائص مشتركة لشعر الحماسة عند المتنبي، وإن اختلفت الأغراض والسياقات الشعرية إنشاءً وتقبّلاً، وربما كانت أبرز هذه الخصائص المشتركة ارتباط شعر الحماسة عند أبي الطيب بمؤثرات ذاتية تتعلق بتضخم الذات والاعتداد المبالغ فيه بالنفس، وبمؤثرات موضوعية ترتبط بعصر المتنبي وخصوصية المرحلة التاريخية التي عاش فيها)

الحماسة وتضخم الذات: (لا يمكن في الحقيقة أن ننظر في حماسيات المتنبي بمعزل عن ذات أبي الطيب المتضخمة والمتعالية، في إيمانها بالقوة وبالفعل سبيلا لتحقيق الأهداف، وهو ما انعكس في شعره تغنيا بالقوة والبطولة والشجاعة مرددا في ذلك أغلب معاني الحماسة الجاهلية التي يختصرها مفهوم **الفتوة**، ولكن مع تحويل / تحوير مهم ينتقل فيه مركز الثقل من **الجماعة** (القبيلة) إلى **الفرد**، وهو أمر يبدو جليا في الفخر كما في بقية الأغراض).

ويجعل المتنبي (من الضمير المتصل "ني" قطب البيت ومركزه، إليه تُنشد معاني البطولة، وحوله يدور العالم بأسره، وهو ضمير لا يعبر عن ذات جمعية، بقدر ما يعبر عن ذات متفردة تجعل من تأكيد تفردها فعل وجود، ذلك أن تحقيق الذات مرتبط بمدى نجاحها في إعلان تمايزها وبالتالي تميزها).

الحماسة والذات: (صورة الممدوح أو المرثي تظل في شعر المتنبي ذاتا فردية بامتياز، ومهما تعلّق الأمر بالكثرة والعدد كما هو الشأن في وصف الحرب، وتحرك الجيوش، وهول المعارك... فإن هذه الكثرة تُختزل في شخص الممدوح او المرثي؛ فهو الذي يحقق النصر وعليه يتحقق سير المعركة، بفضل شجاعتهو وصبره على المكاره، وصواب رأيه وحسن تخطيطه.. يقول المتنبي في مدح سيف الدولة:

يُكلّفُ سيفُ الدّولة الجيشَ همَّهُ ... وقد عجزتْ عنه الجيوشُ الخضارمُ

ويطلب عند النّاس ما عند نفسه ... وذلك ما لا تدّعيه الضّرائمُ[1]

[1] ديوان أبي الطيب المتنبي، ص: 375.

الحماسة والصراع الحضاري الديني: (مثلما تلوّنت الحماسة عند المتنبي بقوة حضور الذات في شعره وتحولها إلى قوة موجهة للقول، فإن طبيعة المرحلة التاريخية وخصوصية القرن الرابع للهجرة باعتباره القرن الذي شهد بداية التراجع الحضاري للدولة العربية الإسلامية، قد ساهم في تلوين شعر أبي الطيب الحماسي وصبغه بطابع خاص؛ فقد استشعر المتنبي الأخطار التي كانت تحيق بأمّته، والتي كان أكثرها جلاء تهديد الروم للأقاليم الشمالية).

(ولعل مواكبة المتنبي لهذا الصراع، خلال إقامته عند سيف الدولة هو ما طبع شعره الحماسي بطابع ديني واضح، تحوّل فيه صراع سيف الدولة مع الروم إلى صراع بين الكفر والإيمان، يقول المتنبي في مدح سيف الدولة:

ولستَ مليكا هاز ما لنظيره ولكنّكَ التّوحيد للشّرك هازمُ[1]

(ولئن كان المتنبي في تأكيده على البعد الديني في الصراع يُعتبر امتدادا لما كان بدأه أبو تمام، فإن أبا الطيب قد وسّع هذا المعنى وربطه بالبعد "العروبي"، فكان ذلك **من أهم المعاني التي أَضافها المتنبي لمعاني الحماسة المعروفة،** بل إنّ هذا المعنى تحوّل في الكثير من مدحيات المتنبي ومرثياته، إلى الإطار الذي أصبح ينتظم بقية المعاني؛ من إبراز للشجاعة وتصوير للحروب ووصف للجيوش...).

(بهذا المعنى فإن الدفاع عن الأوطان في وجه العدو الخارجي، والدفاع عن العصبية العربية (بمعناها الحضاري الثقافي وليس بمعناها القبلي أو العرقي) في وجه نفوذ بقية القوميات داخل الدولة الإسلامية، مثَّلَ أحد أهم معاني الحماسة في شعر المتنبي).

(يقول المتنبي شعره في المناسبة ليفتحه على المطلق، ويحوّله إلى شعر حماسي يتجاوز الظرفي العارض ليكون تغنيا بقيم خالدة يفعل فعله في المتلقي بمعزل عن سياقات القول، فصورة سيف الدولة في شعر المتنبي هي الصورة التي أرادها له المتنبي، إنها صورة المنشود الذي حاول المتنبي تحقيقه في الواقع، وحين فشل حاول خلقه في اللغة ومن خلال الشعر). يقول المتنبي[2]:

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى إلى قول قوم أنت بالغيب عالم
بناها فأعلى والقنا تقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم
خميس بشرق الأرض والغرب زحفه وفي أذن الجوزاء منه زمازم
يُكلّفُ سيفُ الدّولة الجيشَ همَّهُ وقد عجزتْ عنه الجيوشُ الخضارمُ

---

[1] ديوان أبي الطيب المتنبي، ص: 379.

[2] ديوان أبي الطيب المتنبي، ص: 375.

ويطلب عند النّاس ما عند نفسه وذلك ما لا تدّعيه الضّراغمُ[1]

ولستَ مليكا هازما لنظيره ولكنّكَ التّوحيد للشّرك هازمُ[2]

وقفت وما في الموت شكّ لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمرّ بك الأبطال كُلمَى هزيمة ووجهك وضّاح وثغرك باسم

بضرب أتى الهامات والنصر غائب وصار إلى اللّبات والنصر قادم

نثرتهم فوق الأحيدب نثرة كما نُثرت فوق العروس الدراهم

المدح/الرثاء الحماسي والقيم: (هذا الرفض للواقع انعكس في شعره [المتنبي] الحماسي تغنيا بالقيم الأصيلة، قيم الشجاعة والبطولة الحربية، والذّبّ عن الحرمات من جهة، وانعكس من جهة أخرى على صورة الممدوح والمرثي في شعره، إذ تحوّل الممدوح / المرثيّ إلى رمز لتلك القيم؛ ففي قصائد كثيرة يتحول المدح أو الرثاء إلى تغنٍّ بمثال منشود، وبقيم يكون الممدوح / المرثي تجسيدا حيًّا لها، وهو ما يخرج بالمدح (أو الرثاء) من كونه مدحا لشخص ليكون مدحا لقيم).

الحماسة ومفارقتها للواقع: (**وقائع التاريخ بهذا المعنى لا تمثل إلاّ منطلقا لشعر الحماسة، أما الذي يجعل هذا الشعر شعرا حماسيا فهو تحديدا مفارقته للواقع ولقوانينه**).

والمتنبي (**شخصية آثَرَتْ الانطلاقَ عبْرَ مجالات التّوحدِ والرّفضِ والتّمرّدِ والثّورةِ ثمّ التّضخّمِ**)[3].

ولستُ بقانعٍ من كلّ فضل بأنْ أُعزى إلى جَدٍّ همامِ[4]

الحماسة والفخر الذاتي: (إذ **يجعل من نفسه المحور الأول للفخر بذاته لا يشغله أمر الأنساب ولا الأحساب،** ولعل مثل هذا التجاهل كان كامنا وراء الاتهامات التي وُجّهت إليه من حيث النسب على مستوى المجهولية، ولكنه **على المستوى النفسي يظل دليلا على طبيعة الشاعر في انشغاله بتضخم ذاته، وتجاوزه كل ما سواها مما يبدو لديه صغيرا غير ذي قيمة... فله من نفسه ما يزيد على هذا النسب** على نحو مما صوره في مرثيته المشهورة لجدته)[5]، حيث قال:

---

[1] ديوان أبي الطيب المتنبي، ص: 375.

[2] ديوان أبي الطيب المتنبي، ص: 379.

[3] مي يوسف خليفة: ميمية المتنبي، ص: 61.

[4] ديوان أبي الطيب المتنبي، تصحيح وتعليق عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص: 476.

[5] مي يوسف خليفة: ميمية المتنبي، ص: 63.

و لو لم تكو ني بـ نت أ كرم وا لد لـ كان أ باك الضّـــخمَ كونـ ُكِ لي أُمـ ّا[1]

الحماسة المغربية لأبي الحجاج جمال الدين يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البياسي الأندلسي ت 652هـ، كانت له مجموعة من شعر المتقدمين والمتأخرين تسمى "الحماسة المغربية" وأيضا "الحماسة البياسية"، وإذ كان وطن صاحبه "بياس" وهي في مجلدين، وفيها أشعار من أجود أشعار الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين والمولدين والمحدثين من الشرق والغرب، مع ما فيها من أشعار الشعراء الأندلسيين كذلك)[2].

المختارات: (وهي بسبب تنوعها، واختلاف مشاربها، وامتداد أزمنة قائليها، وتمثيلها لوجوه كثيرة من جوانب الأدب والحياة – تصلح أن تكون مادة إمتاع ومؤانسة، ومادة متابعة ومدارسة، وتنفع في محاضرات المحاضر، وفي دروس المعلم.

وهي من جهة أخرى تقدم للقارئ – من أية فئة كان – نصوصا مختارة من الأعصر المختلفة، ومن الأقطار الدانية والنائية، ومن المشهورين من الشعراء ومن المغمورين)[3].

وصف الحرب والبطولة في حماسة المتنبي: فهذا التصوير الذي قدّم به المتنبي البطولة، ونقل به المعارك يدل على عشقه للطعن والنزال، وحبه للقتل والقتال، فهما في رأيه (عرس المجد وزفافه)، وما القتلى إلا الدراهم التي نثرت على العروس، فهو الشاعر الذي عاش يمجد البطولة والأبطال. وقد أدى الشعر الحماسي دوره في وصف المعارك بين المسلمين وأعدائهم، يتغنى بكل نصر، ويشيد بكل بطولة.

يصف **المتنبي** المعارك التي خاضها المسلمون ضدّ الرّوم، فيقول:

وقـ فت و ما في الموت شـــــك لواقف كأ نك في جـ فن الـ ردى و هو نا ئم

تـ مر بك الأ بـ طال كَلْمـَى هز يـ مة ووجـ هك وضـــــاح وثـ غرك باســـم

بضـــرب أتى الهامات والنصـــر غائب وصـــــار إِلى اللـ بات والنصـــر قادم

ذ ثر تـ هم فوق الأ حـ يدب ذ ثرة كـ ما نـُ ثرت فوق الـ عروس الـ دراهم

(لكن حضور الواقع / التاريخ في حماسيات المتنبي ليس هو الذي يمنح هذا الشعر بعده الحماسي، بل على العكس من ذلك، كلما حاول الشاعر أسطرة التاريخ من خلال تجميله وتحويله إلى سلسلة من الانتصارات بغض

---

[1] ديوان أبي الطيب المتنبي، تصحيح وتعليق عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص: 35.

[2] صدر الدين بن لحسين البصري: الحماسة البصرية الجزء الأول، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد، الهند، 1964، ص: 10.

[3] صدر الدين بن لحسين البصري: الحماسة البصرية الجزء الأول، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد، الهند، 1964، ص: 7.

النظر عما جرى فعلا في الواقع، كان النفس الحماسي في ذلك الشعر أبرز. وبذلك يمكن القول إن شعر المتنبي الحماسي ليس وصف حروب بقدر ما هو حروب وصف، على حد تعبير مبروك المناعي، بمعنى أن ما يفعله المتنبي إبداع حربي حماسي بالوصف وليس مجرد وصف للحرب، وأن رهان الشاعر الأول هو تجميل الواقع وتجميل صورة الممدوح والقدرة على تحويل التاريخ إلى بطولة أو إلى تاريخ بطولة).

وقال أبو الطيب **المتنبي**:

أيَّ مـحلٍّ أرتـقي؟ أيَّ عـظيمٍ أتّـقي؟
وكلُّ ما خلقَ اللّـ ـــــهُ وما لم يخلقِ
مُـحتقرٌ في همَّتي كشـعرةٍ في مَفْرِقي[1]

وقال أبو الطيب **المتنبي**:

أمِطْ عنكَ تشـبيهي بما وكأنّه فما أحدٌ فوقي، وما أحدٌ مثلي[2]

وقال أبو الطيب **المتنبي**:

إلى أيِّ حينٍ أنتَ في زيِّ مُحرِمٍ؟ وحتّى متى في شـَقْوَةٍ، وإلى كَمِ؟
وإلاّ تَمُتْ تحت السـّيوف مُكرّمًا تمتْ، وتقاسـي الذّلَّ غيرَ مُكَرَّمِ
فَثِبْ واثقًا بالله وثبةَ ماجدٍ يرى الموتَ في الهيجا جنى النّحلِ في الفمِ[3]

قال **المتنبي**:

تجاوزت مقدار الشـجاعة والنهى إلى قول قوم أنت بالغيب عالم

وقال **المتنبي**:

بناها فأعلى والقنا تقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم

وقال **المتنبي**:

أرض تفجّر كل شـيء فوقها بدم العدى حتى الصـفا والجندل

وقال **المتنبي**:

خميس بشـرق الأرض والغرب زحفه وفي أذن الجوزاء منه زمازم

وقال **المتنبي**:

---

[1] ديوان أبي الطيب المتنبي، تصحيح وتعليق عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص: 35.

[2] ديوان أبي الطيب المتنبي، ص: 7.

[3] ديوان أبي الطيب المتنبي، ص: 9، 10.

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسم

وللمتنبي في باب تفضيل الحرب على حياة الذل والهوان أبيات كثيرة منها قوله:

عِشْ عزيزًا أوْ مُتْ وأنتَ كريمٌ بينَ طعْنِ القَنَا وخفْقِ البُنُودِ

وقوله:

غيرَ أنّ الفتى يُلاقي المنَايَا كالِحاتٍ ولا يُلاقي الهوَانَا

ولا شك أن مثل هذه الأبيات هي رجع صدى لقول **عنترة** العبسي في العصر الجاهلي:

موتُ الفتى في عزّه خيرٌ له من أن يبيت أسيرَ طرفٍ أكحلِ

واعتبر **المتنبي** الحرب أهلاً للترغيب فيها وتقريب صورتها من النفس:

أنَا ابنُ اللّقاءِ أنَا ابنُ السَّخاءِ أنا ابنُ الضِّرابِ أنا ابنُ الطِّعانِ

وفي باب تفضيل جدية الحماسة على مظاهر اللهو والمجون ولا سيما المرأة والخمر، وهي نهج برز بشكل كبير عند **المتنبي** خاصة في قوله:

وغير فؤادي للغواني رميّة وغير بناني للكؤوس ركابُ

وقوله:

ألا حبذا قوم ندامايَ قُنا يسقونها ريًّا وساقيهُم العزمُ

وقد استعاض **المتنبي** عن المرأة بالحرب فأصبحت الحرب معشوقة، كما يظهر في قوله:

سمراء يستغوي الفوارس قدُّها ويذكرها كرّاتها وطعانُها

وقوله:

أعلى المماليك ما يُبنى على الأسلِ والطعنُ عند محبّيهن كالقبلِ

وهذا البيت الأخير من قول **أبي تمام**:

يستعذبون منايا هم كأنهم لا يأسون من الدنيا إذا قتلوا

استمرار الحماسة ودواعيها: (استمرّ تدفّق شعر الفخر والحماسة عبر العصور بقوّة وغزارة، وذلك لارتباط بواعثه بالحروب والمعارك، وبالعصبية القبلية والمنافرات الشّخصيّة [...] ومنذ أضحت الهيمنة على بلاد المشرق الإسلامي في بؤرة اهتمام أوربا المسيحيّة، وأضحى الانتصار للّيانة المسيحيّة، وتأديب المسلمين، وتخليص قبر المسيح عليه السّلام من أيديهم شعارًا، وبدأت الحملات الصّليبيّة تستولي على هذه البلاد وتعيث فيها فسادًا، بدأ التّحوّل في باعث شعر

الفخر والحماسة، فأصبح جماعيّا لا يلتفت للمفاخر الشّخصيّة، وقوميّا لا مكان للعصبيّة القبليّة فيه، ودينيّا محضا، يلهب مشاعر المجاهدين، ويحضّهم على الانتصار للإسلام والمسلمين، ويصف المعاركَ، ويفاخر بالانتصارات)[1].

(لشعر الحماسة مزيّة تسجيل الوقائع الحربية التي قد تغفل عنها كتب التاريخ، وهو ما يبرز من خلال حضور الوظيفة المرجعية، في كثير من شعر الحرب لدى كلّ من ابن تمام والمتنبّي وابن هانئ).

(يعمل شعر الحماسة على خلق نماذج بطولية عليا، عبر تحويل الممدوحين من قادة الحرب وأمرائها إلى مثل عليا عسكرية، لعلّها مطلوبة أكثر مما هي موجودة. ويراد لهذه المثل أن ترسخ في الذّاكرة الجماعيّة للمجموعة المحاربة، التي يتغذّى وجدانها من خلال أعمال هؤلاء البطولية، بمشاعر العزّة والكرامة والنّخوة والشّرف، فيتعمّق شعورها بالانتماء إلى هويّة، لها حضورها في التاريخ، على صعيد المنجزات الحربية).

(يلعب شعر الحماسة وظيفة تعبوية، تهدف إلى جلب الأنصار والمتطوعين للقتال، وتحريضهم عليه، وهي وظيفة سياسية بالأساس، تنضاف إلى الوظيفة النفسيّة المقترنة بالتحميس وإثارة الحميّة الدّينيّة أو القبلية أو حتى النعرات الطائفيّة، مثلما هو الشأن لدى ابن هانئ، ومن شأن هذه الوظيفة أن تساعد المحاربين على مغالبة مشاعر الخوف والرهبة المحايثة لأجواء الحروب وأهوالها).

عنترة والبطولة: (البطولة الحربية ووصف المعارك هي أبرز الموضوعات التي تطرق إليها الشاعر [عنترة] في قصائده المختلفة، فحاول أن يرسم لنا في قصائده صورة كاملة عن الفارس الشجاع الذي يخوض ساحات القتال وميدان الأبطال. ومن خلال صورة المقاتل الشجاع يستطيع عنترة أنْ يؤكد فكرة حريته وجدارته بهذه الحرية، وبالتالي جدارته بحب ابنة عمه عبلة، ويحاول أنْ يربط بين فكرة البطولة وفكرة الحب)[2].

قال **عنترة**[3]:

الـيومَ تَـعلم يا نـعـمان أيَّ فتى	يلقى أخاكَ الذي قدْ غرّه العُصـــَبُ
إنّ الأفاعي وإنْ لانتْ ملامســـها،	عـند التّقلّـب، في أنيابـها العـطبُ
فتى يخوض غمارَ الحربِ مبتســـما	وينثني، وســـنان الرّمح مختضـــبُ
إنْ سلّ صارمَه، سالت مـضاربُه،	وأشـــرق الجوُّ، وانشـــقّت له الحُجُبُ

---

[1] نبيل خالد أبو علي: الاتجاه الديني في شعر الفخر والحماسة في العصرين المملوكي والعثماني، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد الخامس عشر، العدد الثاني، يونيو 2007، ص: 171 – 202.

[2] شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، ط 1، بيروت، 1992، ص: 10.

[3] شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، ط 1، بيروت، 1992، ص: 25.

والخـ يلُ تشـــ هد لي أنِّي أكفكف ها، والطّعن مـ ثل شـــرارِ النّار يلتـ هبُ
إذا التقـ يتُ الأ عادي يوم معر كة تر كتُ جمعهم المغرورَ يُنْتَهـ بُ
لِيَ النّفوسُ، وللطّير اللّحومُ، وللو حش العـ ظام، وللخيّا لة السّـــلـ بُ
لا أبـ عدَ اللـ ّه عن عيني غـ طارفـ ةً إنْســـ ًا إذا نزلوا، جِنـ ًّا إذا ركبوا
أســـودُ غابٍ، ولكن لا نيوبَ لهم إلاّ الأســـنّةُ والهـ نديّةُ القُضـــ ُبُ

قال الشّاعر **شهاب الدّين أبو الثّناء محمود** في مدح الملك الظاهر بيبرس، وقد انتصر على التّتار في الشّام[1]:

سِـــرْ حيثُ شِـــئتَ، لكَ المُهيمنُ جارُ وا حـ كمْ، فـ طوعُ مرادكَ الأ قدارُ
لم يبقَ لـ لدِّينِ ا لذي أظْهَرْتَـ هُ يا رُكنَـ ه، عـ ندَ الأ عادِي نارُ
لمـّا تراقصـــــتِ الرّؤوسُ، وحُرِّكتْ من مُطر باتِ قســـيِّكَ الأو تارُ
خُـ ضْتَ الفراتَ بـ سابح أقـ صى منًى هوجُ الصـــّ با من نعـ له آ ثارُ
حملتْـ كَ أمواجُ الفراتِ، ومَنْ رأى بـ حرًا ســـواكَ تُقِـ لُّه الأ نـ هارُ
وتقطّعتْ فِرقـ ًا، ولم يكُ طَوْدَ ها إذْ ذاك، إلاّ جيشـــُكَ ا لـ جرّارُ
رشَّـــتْ دماؤُهمُ الصّـــعيدَ، فلمْ يطرْ منهم على الجيشِ السّـــعـ يدِ غـ بارُ
شـــكرتْ مســـاعيكَ المعاقلُ والورى والـ ُربُ والآســـــادُ والأ طـ يارُ
هذي منعـ تُ، وهؤلاء حميتَـ هم وســـقيتَ تلك، وعَمَّ ذا الإيســـارُ
فلأَمـ ْلأَنَّ ا لدَّ هرَ فـ يكَ مدا ئحًا تبقَى، بقيتَ، وتـ ذهبُ الأعصـــارُ

قال **بشار بن برد** يمدح مروان بن محمد بن مروان، ويمدح قيس عيلان:

إذا ا لـ مـ لكُ ا لـ جبـ ّارُ صـــعـ ّر خدَّه مشـــيـ نا إلـ يه بالســـّيوف نـ عاتبـ ُهْ
وكنـ ّا إذا دبَّ ا لعـ َدُوُّ لســـــ خطـ نا وراقَبـ نَـ ا في ظا هرٍ، لا نرا قبـ ُهْ
ركِـ بـ نا لـه جـ َهـ ْرًا بكـ ُلِّ مـ ُذَ قَّفٍ وأبيضَ، تســـتســـقي الدّماءَ مضـــاربـُهْ
وجيشٍ كجُنحِ اللّيل يرجفُ بالحَصَـــى وبالشـــّولِ والخَطَّيِّ، حُمْرٌ ثـ عالبـ ُهْ
غدونا لـه والشّـــمسُ في خـ دْرِ أمِّها تـ طالعـ نا، والطـ َّلُّ لم يجر ذائبـ ُهْ
بِضـــَرْبٍ يذوقُ الموتَ منْ ذاق طعمَه وتـ ُدْرِكُ، منْ نجّى الفرارُ، مـ ثالبـ ُهْ

[1] جمال الدين الأتابكي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء 7، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ص: 159.

كأنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فوق رؤوسِهِم وأَسْيَافَنَا، لَيلٌ تَهَاوَى كواكبُهْ
بَعثْنا لهم موتَ الفُجَاءةِ، إنَّنَا بنُو المُلْكِ خفَّاقٌ علينا سَبائبُهْ
فراحُوا: فريقًا في الإسارِ، ومثلُهُ قتيلٌ، ومثلٌ لاذَ بالبحرِ هاربُهْ
وأرعنَ، يَغْشَى الشّمسَ لَوْنُ حَدِيدِهِ وتَخْلِسُ أبْصَارَ الكُمَاةِ كتائبُه
تَغُصُّ به الأرضُ الفضاءُ إذا غدا تُزاحمُ أركانَ الجبالِ مناكبُهُ[1]

قال **عنترة** العبسي في حرب كانت بينهم وبين جديلة طيء، قاتل فيها قتالا شديدا[2]:

وفوارِسٍ لي قدْ عَلِمْتُهُمُ صُبُرٌ على التِّكْرارِ والكَلْمِ[3]
يمشون والمَاذِيُّ فوقَهُمُ يتوقّدون تَوَقُّدَ الفحمِ[4]
كمْ مِنْ فتًى فيهمْ أخِي ثِقَةٍ حُرٍّ أَغَرَّ كغُرَّةِ الرِّئْمِ[5]
لَيْسُوا كأقْوامٍ عَلِمْتُهُمُ سُودِ الوُجُوهِ كمَعْدِنِ البُرْمِ[6]
عَجِلَتْ بنو شَيْبَانَ مُدَّتَهُمْ والبَقْعُ أسْتَاها بنو لأْمِ[7]
كنَّا إذا نَفرَ المَطِيُّ بنا وبدا لنا أَحْواضُ ذِي الرَّضْمِ[8]
نَعْدي، فَنَطْعَنُ في أُنوفِهِمُ نَختارُ بين القتلِ والغُنْمِ[9]
إنَّا كذلك يا سُمَيُّ، إذا غدر الحليفُ نَمُورُ بالخُطْمِ[10]

---

[1] ديوان بشار بن برد، الجزء 1، جمع وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور، نشر وزارة الثقافة، بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص: 334، 335، 336.

[2] شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، ط 1، بيروت، 1992، ص: 145، 146.

[3] التكرار: كثرة الكرّ، والكرُّ: الرجوع بعد الانهزام. الكلم: الجرح.

[4] الماذي: الصافي من الحديد الخالص، ويقصد الدروع البيض. قوله: (يتوقّدون توقّد الفحم): يعني: لقاؤهم شديد لتوهّج نار الحربِ.

[5] أخو ثقة: أيْ يوثّق بما عنده من الخير والشّجاعة ونحو ذلك. الأغر: الأبيض. والرئم: الظبي الأبيض الخالص البياض.

[6] معدن البُرم: أي وجوههم في السّواد مثل موضع القدر من النّار، والقدر البرمة، وجمعُها بُرَمٌ وبُرُمٌ.

[7] استعجلت بنو شيبان مدّة حياتهم حين تعرّضوا لقتالنا، وأصبنا منهم. البقعُ أستاها: رماهم بالبرص في أستاهم، وبنو لأْمٍ: حيٌّ من طَيِّئ.

[8] نفر المطِيُّ بنا: سار بنا نحو بلاد العدوّ، والمطِيُّ: الإبلُ. والرّضمُ: أرض ذات حارة مجموعة.

[9] نعدي: أراد نعني خيلنا، أيْ نحملها على العدوّ، وخصّ الطّعن في أنوفها ليُخبّر أنّهم حُذّاقٌ بالطّعن. نختار بين القتل والغنم: أيْ إمّا أنْ نقتل وإمّا أنْ نغنم.

[10] الحليف: المعاقد. نمور بالخطم: نذهب بالأنوف وواحدها: خَطْمٌ، بمعنى يذلّون من نقض حلفهم.

وبـكُـلِّ مُـرْهَـفَـةٍ لـهـا نَـفَـذٌ بـ ينَ الضـــلُّ وعِ كَ طُرَّةِ ا لفَدْمِ[1]

قال **عمرو بن كلثوم** في معلقته المشهورة[2]:

بِـأَنّـا الُـمـطْـعِـمُـونَ إِذَا قَـدَرْنَا وَأَنَّا الُ مهلْكُونَ إِذَا ابتُلِ ينا[3]

وَأَنَّـا الَـمـانِـعُـونَ لِـمـا أَرَدْنـا وَأَنَّا الذَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِـ ينا[4]

وَأَنّا التَّارِكُونَ إِذَا سَخِطْنَا وَأَنّـا الآخِـذُونَ إِذَا رَضِـيـنـا[5]

وَأَنّا الْعَاصِمُونَ إِذَا أُطِعْنَا وَأَنّا الْعازِمُونَ إِذَا عُصِـ ينا[6]

وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا الَ ماءَ صَـفْواً وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِراً وَطِ ينا[7]

أَلا أَبْلِغْ بَني الْطَّمَّاحِ عَنَّا وَدُعْمِيًّا فَكَيْفَ وَجَدْتُمونا[8]

إِذَا مَا الَمَلْكُ سَامَ الْنَّاسَ خَسْفاً أَبَيْنا أَنْ نُقِرَّا لذُّلَّ فِ ينا[9]

مَلَانا الْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا وَمَاءَ الْبَحْرِ نَمْلَؤُهُ سَفِ ينا[10]

إِذا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنا صَبِيٌّ تَخِرُّ لَهُ الْجَبابِرُ سَاجِدِينا[11]

قال **عنترة**[12]:

والخيلُ تقتحم الغبارَ عوابسًا ما بين شـيظمةٍ، وأجردَ شـيظمِ

---

[1] بكلّ مرهفة: أيْ: نكافئهم بالنصال المرهفة، بمعنى الخفيفة. لها نفذٌ بين الضّلوع: نطعنهم بين الضلوع فننفذها بين ضلوعهم. الطّرّة: حاشية الثّوب. الفدم: ضَرْبٌ من البرود مشبع الحُمرة، فشبّه حمرة ما يسيل من الدّم بكرّة الفدم.

[2] ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي، تحقيق أيمن ميدان، كتاب النادي الأدبي الثقافي، 80، ط 1، جدة، 1992، ص: 347.

[3] بمعنى: قد علمت هذه القبائل أنا نطعم الضيوف إذا قدرنا عليه، ونهلك أعداءنا إذا اختبروا قتالنا.

[4] يقول: ونحن نمنع الناس ما أردنا منعه إياهم، وننزل حيث شئنا من بلاد العرب.

[5] وأنا نترك ما نسخط عليه ونأخذ إذا رضينا، أي لا نقبل عطايا من سخطنا عليه ونقبل هدايا من رضينا عليه.

[6] يقول ونحن نعصم ونمنع جيراننا إذا أطاعونا ونعزم عليهم بالعدوان إذا عصونا.

[7] ونأخذ من كل شيء أفضله وندع لغيرنا أرذله، يريد أنهم السادة والقادة وغيرهم أتباع لهم.

[8] يقول: سل هؤلاء كيف وجدونا ، شجعانا أم جبناء.

[9] الخسف والخسف، بفتح الخاء وضمها: الذل، السوم: أن تجشم إنسانا مشقة وشرا، يقال: سامه خسفا، أي حمله وكلفه ما فيه ذله، يقول: إذا أكره الملك الناس على ما فيه ذلهم أبينا الانقياد له.

[10] يقول: ملأنا الدنيا برا وبحرا فضاق البر عن بيوتنا والبحر عن سفننا.

[11] إذا بلغ صبياننا وقت الفطام سجدت لهم الجبابرة من غيرنا.

[12] شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، ط 1، بيروت، 1992، ص: 184.

ولـ قد شـــفى نفســـي وأبرأ ســـقمَ ها ةـ يلُ ا لـ فوارسِ: و يكَ ع ذ ترَ أقْدِمِ

وقال **عبدالله بن رواحة** (صحابي بَدْرِي وشاعر وقائد عسكري، وأحد نقباء الأنصار، شارك في غزوات الرسول ﷺ، وكان أحد الشعراء الذين يدافعون بشعرهم عن الرسول ﷺ، قُتل يوم مؤتة سنة 88 هـ، وهو قائد المسلمين أمام الروم وحلفائهم الغساسنة)، يستثير نفسه ويحميها ويدفعها إلى الضرب والطعان:

يا ذ فس إلا تـ قـ تـ لي تـ مو تي هذا حـ مام ا لـ موت قد لـ قـ يتِ

و ما تـ مـ ذ يت فـ قد أُ ع ط يتِ وإن تـــأخـــرت فـــقـــد شـــــقـــيـــتِ

وقال **قطري بن الفجاءة**، أحد رؤساء الأزارقة وأبطالهم، كان خطيبا بليغا فصيحا وفارسا شجاعا، توفي سنة 78 هـ:

أ قول لـ ها و قد طارت شـــــ عاعًا من الأ بـ طال و يـ حك لا ترا عي

فإ نك لو ســـــأ لت بـ قاء يوم عـلى الأ جل ا لذي لك لم تـ طا عي

فصـــــبرًا في مـ جال الموت صـــــبرًا فـ ما ذ يل ا لـ خ لود بمســـــ تـ طاع

فهذا الشعر يفيض ببسالة قوية لا تعرف ضعفًا ولا فتورًا ولا ترددًا، صدر عن نفس لا تعرف الهلع ولا النكوص.

وقال **حيّان بن ربيعة الطّائيّ**، الشاعر الجاهلي[1]:

لـ قد عـ لمَ ا لـ قـ با ئلُ أنّ قو مي ذوو جـ دٍّ إذا لـ ُ بسَ ا لـ حد يدُ[2]

وأنّـــا نـــعـــمَ أحـــلاسُ الـــقـــوافـــي إذا اســـــتعرَ التّ نافرُ والنّشـــــ يدُ[3]

وأذ ّا نضـــــربُ ا لمـ َ لـ حاءَ حتّى تولّي، والســـّيوفُ لـ نا شـــــهودُ[4]

وقال **أبو صخر الهذلي**، وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية [5]:

---

[1] سيد علي المرصفي: الجزء الأول من كتاب أسرار الحماسة، ط 1، مطبعة أبي الهول، القاهرة، 1912، ص: 150.

[2] جدّ: مصدر جدّ في الأمر، إذا اهتم به وأسرع فيه. الحديد: يريد به الدروع.

[3] أحلاس: واحدها: حلس، وهو ما يُبسط تحت حرِّ المتاع، ويطلق على ما ولي ظهر الدّابة تحت رحل وسرج، يُضرب مثلا في ملازمة الشيء. التنافر: التفاخر (بالحسب)، النشيد: ما يتناشدون من الشّعر، يريد أنهم أنطق النّاس وأقدرهم على البيان يوم يتفاخرون ويتناشدون.

[4] الملحاء: الكتيبة تعلو أسيافها زرقة صافية تضرب إلى البياض واسم ذلك اللّون: الملحة.

[5] سيد علي المرصفي: الجزء الأول من كتاب أسرار الحماسة، ط 1، مطبعة أبي الهول، القاهرة، 1912، ص: 152.

رأيتُ فُضـــَيلةَ الدقرشـــيَّ لمّا رأيتُ الخيلَ تُشـــجرُ بالرِّماحِ[1]

ورنَّقَتِ المنيّةُ فهْيَ ظلٌّ على الأبطالِ، دانيةُ الجناحِ[2]

فكان أشـــدَّهم قلباً وبأساً وأصـــبرَ في الحروبِ على الجِراحِ

وقال عبد الرحمن بن إسماعيل الخولاني **المعروف بـ"وضـّاح اليمن"**، أحد شعراء الغزل في العصر الأموي، توفي 89 هـ / 708م[3]:

صـــبا قلبي، ومالَ إليكِ ميْلا وأرَّقَـنـــي خـيـــالُـكِ يـا أُثـيْـلا

درى ني ما أَمَمْتُ بناتِ نعشٍ من الطَّيْفِ الذي يزتابُ ليلا[4]

ولكنْ، إنْ أردْتِ فهيِّجينا إذا رَمَقَتْ بأعيذها سُـهَيْلا[5]

فإنّكِ لو رأيتِ الخيلَ تعدو عوابسَ، يتّخذنَ اللّقعَ ذيلا

رأيْتِ على متونِ الخيلِ جِنًّا تُفيدُ مغانماً، وتُفِيتُ نَيْلا[6]

وقال **ابن هانئ**:

أرض تفجّر كل شـــيء فوقها بدم العدى حتى الصـــفا والجندل

وقال **ابن هانئ** الأندلسي:

مـــن الـــطّيـــر إلا أنّهـــنّ جـــوارح فليس لها إلا النّفوس مصـــيد

ضـــوء من النار والظلماء عاكفة وظلمة من دخان في ضـــحى شـــحب

---

[1] شجره بالرّمح: طعنه.

[2] رنّقت المنيّة: مستعار من ترنيق الطّائر، وهو أنْ يصفَّ جناحيه في الهواء لا يحرّكهما، وقد أسند إليها ما يسند للطائر من الظّلّ ودنوّ الجناح يريد دنوّ وقوعها.

[3] سيد علي المرصفي: الجزء الأول من كتاب أسرار الحماسة، ط 1، مطبعة أبي الهول، القاهرة، 1912، ص: 153، 154.

[4] أَمَمْتُ: قصدت، من الأَمّ، وهو القصد. بنات نعش: الكبرى سبعة كواكب، أربعة منها نعش، تراها مربعة كالنعش، وثلاث بنات، وكذا الصّغرى، الواحد ابن نعش، ونظيرها بنات عرس وبنات آوى، الواحد ابن عرس وابن آوى، وهنّ يطلعن جهة الشّام، يريد: إذا قصدتُ دمشق دار الخلافة فذريني من طيفك الذي ينتابني ويقصدني ليلا.

[5] سهيل: يطلع جهة اليمن، يريد: إنْ أردتِ انتيابنا فاقصدينا صباحا إذا أمّتْ ركائبُنا جهة اليمن.

[6] متون الخيل: ظهورُها، شبّههم بالجنّ في غرابة ما يأتون به من حركات القتال المدهشة. تفيد مغانما: تنال مغانما، تفيتُ نيلا: تفوّت فرصة نيل العدوّمنهم.

حتى كأن جلابيب الدجى رغبت عن لونها و كأن الشمس لم تغب

وقال **أبو تمام**:

وقال **أبو تمام**:

تردّى ثياب الموت حمرا فما أتى لها الليل إلا وهي من سندس خضر

وفي **قول أبي تمام** (يمدح المعتصمَ بالله أبا إسحاق محمد بن هارون الرّشيد، ويذكر حريقَ عمُّوريّة وفتحَها)[1]، في قصيدته الشهيرة **"فتح عمورية"**، نلاحظ امتزاج الحكمة بالتصوير الفني، والتهويل والمبالغة في التصوير:

السّيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ في حدِّه الحدُّ بين الجدِّ واللّعبِ[2]

بيضُ الصّفائحِ، لا سودُ الصّحائفِ، في مُتُونهنَّ جِلاءُ الشّكِّ والرِّيبِ[3]

والعلمُ في شهبِ الأرماحِ لامعةً بين الخميسين، لا في السّبعة الشُّهُبِ[4]

أيْنَ الرواية بَلْ أيْنَ النُّجُومُ وَمَا صَاغُوه مِنْ زُخْرُفٍ فيها ومنْ كَذِبِ

لو بيَّنت قطّ أمراً قبل موقعه لم تُخْفِ ما حلَّ بالأوثان والصُّلُبِ[5]

فَتْحُ الفُتوحِ تَعَالَى أَنْ يُحيطَ بِهِ نَظْمٌ مِن الشِّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الخُطَبِ

فتحٌ تفتَّحُ أبوابُ السَّماءِ لهُ وتبرزُ الأرضُ في أثوابها القُشُبِ[6]

---

[1] ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، المجلد الأول، ط 5، دار المعارف، القاهرة، ص: 40.

[2] كان المنجمون قد حكموا أن المعتصم لا يفتح عمورية، وراسلته الرّومُ بأنّا نجدُ في كتبنا أنّه لا تُفتح مدينتُنا إلاّ في وقت إدراكِ التّينِ والعنبِ، وبيننا وبين ذلك شهورٌ، يمنعكَ من المقام بها البردُ والثّلجُ، فأبى أنْ ينصرفَ، وأكبَّ عليها، ففتحها وأبطل ما قالوا. وقوله: في حدّه الحدّ: الحدّ الأول للسّيف، والحدّ الثّاني الذي يفصل بين الشّيئين.

[3] الصحائف جمع صّحيفة: الكتاب، والصّفائح جمع صفيحة، وهي الحديدة العريضة، ويقال للسيف العرض كذلك. والشّطر الثاني: أنّ السيوف تفصل بين الحقّ والباطل حتى تتبيّنه.

[4] شهبُ الأرماح أسنّتُها، و"الخميسان" الجيشان، ويُقال إنّ الجيشَ سُمّي خميسا في زمان كانت الملوكُ إذا غزتْ أخذتْ خُمسَ الغنيمة لأنفسها، فالخميسُ إذا في معنى المخموس، من قولهم خَمَسْتُ القومَ إذا أخذتُ خمسَ أموالهم. ويعني بـ"السّبعة الشّهب" الطّوالع التي أرفعُها زحلٌ، وأدناها القمرُ.

[5] يريد: لو أنها قادرة على معرفة الغيب، إذن كانت عرفت مسبقا ما حصل من هذا الانتصار الذي حققه المسلمون.

[6] القشب: جمع قشيب، وهو الجديد.

يـا يومَ وقْعَةِ عَمُّوريـةَ انصَـرفَتْ عنكَ المُنى حُفَّلاً معسـولةَ الحلبِ[1]

أبقيْتَ جدَّ بني الإسـلامِ في صـعدٍ والمُشْـرِكينَ ودَارَ الشـرْكِ في صَـبَبِ[2]

أُمٌّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَن تُفْتَدَى جَعَلُوا فـداءهـا كـلَّ أمٍّ مـنـهـمُ وأبِ[3]

بِكْرٌ فَما افْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ ولا ترقَّتْ إليها همَّةُ الذُّوبِ[4]

مِنْ عَهْدِ إِسْـكَنْدَرٍ أَوْ قَبل ذَلِكَ قَدْ شـابتْ نواصـي اللَّيالي وهيَ لمْ تشـبِ

حَتَّى إِذَا مَخَّضَ اللَّهُ السـذين لَهَا مَخْضَ البَخِيلَةِ كانَتْ زُبْدَةَ الحِقَبِ

جرى لها الفالُ برحاً يومَ أذقرةٍ إِذْ غودرتْ وحشةَ الساحاتِ والرِّحبِ[5]

لمَّا رَأَتْ أُخْتَها بِالأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى من الجَرَبِ[6]

كمْ بينَ حِيطانها من فارسٍ بطلٍ قاني اللذّوائب من آني دمٍ سـربِ[7]

بسـُنَّةِ السـَّيفِ والحِنَّاءُ منْ دمه لا سُـنَّةِ الدين والإِسْـلاَمِ مُخْتَضـبِ

لقد تركتَ أميرَ المؤمنينَ بها للنَّارِ يوماً ذليلَ الصَّـخرِ والخشـبِ

غادرتَ فيها بهيمَ اللَّيلِ وهوَ ضُـحىً يَشُـلُّهُ وَسْـطَهَا صُـبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ[8]

حتى كأن جلابيب الدجى رغبت عن لونها، أو كأن الشـمس لم تغبِ[9]

ضـوءٌ منَ النَّارِ والظَّلماءُ عاكفةٌ وظُلمةٌ منَ دخان في ضُـحىً شـحبِ

فالشَّـمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وقدْ أَفَلَتْ والشَّـمسُ واجبةٌ منْ ذا ولمْ تَجِبِ[10]

لم تَطْلُعِ الشَّـمْسُ فيهِ يومَ ذَاكَ على بانٍ بأهلٍ ولَم تَغْرُبْ على عَزَبِ

---

[1] المعسولة: التي فيها عسل، والحلب: ما حُلب من اللّبن.

[2] الجدّ: الحظّ، بنو الإسلام: المنتسبون إليه. الصَّعَدُ: المكان الذي يُصْعدُ فيه. والصّبَبُ: المكان الذي يُنصبُ فيه، أيْ يُنحدر.

[3] أمّ لهم: الأمُّ أصل الشّيء ومعدنه، بمعنى أن هذه البلدة أمّهم، لو استطاعوا لافتدوها بأبيهم وبأمهم.

[4] افترعتها: افتضَّتْها، بمعنى أنّها لم تُفْتحْ قَطُّ قبل هذا الفتح.

[5] الفأل: الخير، وهو ضدّ: الطِّيَرَة. برحا: مصدر بَرَحَ يبرَحُ من البارح، وهو ضدّ السّانح، تقول العرب: السّانح ما ولاّك ميامنه، والبارحُ ما ولاّك ميامنه، ومنهم من يتيمّن بالبارح ويتشاءم بالسّنيح، ومنهم مَنْ يأخذ بضدِّ ذلك. أنقرة موضع بيلاد الرّوم به قبر امرئ القيس.

[6] الهاء في أختها راجعة على عمّورية، ويريد بأختها أنقرة، بمعنى أنها عندما خربت أختها أعدتها وكأنها مصابة بالجرب، فخربت هي أيضا.

[7] قاني الذّوائب: مُحمرُّها، الآني: الحار، وأصله في الماء الحار المغلي، واستعاره هنا للدم، والسَّرِبِ: السّائل.

[8] غادرتَ: تركتَ، البهيم: أراد به اللّيل الذي لا ضوء فيه، يشلُّهُ: يطرده.

[9] جلابيبُ الدّجى: جمع جلباب، وهو القميص أو الرّداء.

[10] "من ذا" الأوّل يعني به لهيب النّار، و"من ذا" الثّاني يريد به الدّخان. أَفَلَتْ: غابت. ووَجَبَتِ الشّمس: إذا سقطت في المغرب.

لوْ يعلمُ الكفرُ كمْ منْ أعصـــرٍ كمنتْ ... لَهُ العَواقِبُ بَيْنَ السُّـــمْرِ والقُضُـــبُ[1]

تَدْبيرُ مُعْتَصِـــمٍ باللَّهِ مُنْتَقِمٍ ... للهِ مرتقبٍ في اللهِ مرتغبِ[2]

ومُطعَمِ النَّصـــرِ لَمْ تَكْهَمْ أَسِـــنَّتُهُ ... يوماً ولاَ حُجبتْ عنْ روحِ محتجبِ[3]

لَمْ يَغْزُ قَوْماً، ولَمْ يَنْهَدْ إلَى بَلَدٍ ... إلاَّ تقدَّمهُ جيشٌ من الرَّعبِ[4]

لوْ لمْ يقدْ جحفلاً، يومَ الوغى، لغدا ... منْ نفســـهِ، وحدها، في جحفلٍ لجبِ

رمى بكَ اللهُ برْجَيْها فهدَّمها ... ولوْ رمى بكَ غيرُ اللهِ لمْ يصـــبِ[5]

لَبَّيْتَ صـــوْتاً زِبَطْرِيّاً هَرَقْتَ لَهُ ... كأسَ الكرى ورُضـــابَ الخُرَّدِ العُرُبِ[6]

خَلِيفَةَ اللَّهِ جازَى اللَّهُ سَـــعْيَكَ عَنْ ... جُرْثُومَةِ الدِينِ والإِسْـــلاَمِ والحَســـَبِ[7]

بصـــُرْتَ بالرَّاحةِ الكُبرى فلمْ ترها ... تُنالُ إلاَّ علَى جســـرٍ منَ التَّعبِ

إن كانَ بينَ صُـــرُوفِ الدَّهرِ منْ رحمٍ ... موصـــولةٍ، أوْ ذمامٍ غيرِ مُنقضـــبِ

فبَيْنَ أيَّامِكَ اللاَّتي نُصـــِرْتَ بِهَا ... وبَيْنَ أيَّامِ بَدْرٍ، أَقْرَبُ النَّســـَبِ

أَبْقَتْ بَني الأَصْـــفَرِ المِمْرَاضِ كاسِـــمِهُمُ ... صُـــفْرَ الوجُوهِ، وجلَّتْ أَوْجُهَ العَرَبِ[8]

المراجع:

---

[1] أيْ كانوا في تلك الأعصر غافلين عمّا حلّ بهم من القتل والتّخريب.

[2] المرتقب: الذي يجعل ما يرقبه بين عينيه كأنه ينظر إليه، مرتغب: أي يرغب فيما يقربه إلى الله تعالى.

[3] مُطْعَمُ النّصر: أصل الكلمة في الصّيد، يقال: قوسٌ مُطْعَمَةٌ، إذا تعوّد راميها أنْ يُصيب سهمُها الوحشَ الواردةَ فيثوب منها طعام. وقولُه: لم تكْهمْ: أيْ: لم يَنْبُ، وأصل الكهام في السّيف، وقد استعير لغيره.

[4] لم ينهدْ: أي لم ينهضْ إليه، ومنه قولهم نَهَدَ ثدْيُ الجارية، وتناهد القوم في السّفر، ومنه تنهّد الحزين كأنّه ينْهِضُ النّفس.

[5] أيْ كان قتالك في الله مستنصرا لدينه، ولو كان قتالك لغير دين الله لم تُنصَرْ عليهم، ولم تصبهم.

[6] "زِبَطْرِيٌّ: منسوب إلى زِبطرة وهي بلد فتحه الروم، فبلغ المعتصمَ أنَّ امرأةً قالت في ذلك اليوم وهي مسبية: وامعتصماه!، فنُقل إليه ذلك الحديث وفي يده قَدَحٌ يريد أنْ يشرب ما فيه، فوضعه، وأمر بأنْ يُحفظ، فلما رجع من فتح عمّوريّة شَرِبَ، وقيل: إنما أٍاد بذلك قول امرأة من زبطرة كتبت إلى المعتصم حين دخلها الروم:

يا ابن الخلائفِ من ذُؤابةِ هاشـــمٍ ... ذهبتْ زبطرةُ منك إنْ لمْ تأْتِها

وهرقت: سالت. الخُرَّدُ: الحَيِيَّات، ويقال في الواحدة: الخريدة والخريد. العُرُبُ: جمع عَرُوب، وهي المُتَحَبِّبَةُ إلى زوجها.

[7] جرثومة الشّيء: أصله.

[8] الرّوم يقال لهم بني الأصفر. الممراض: ليدلّ على أنّ صفرته كانت من مرض لا من خلقة، والممراض كثير المرض. وكاسمهم: يريد اسم أبيهم، لأنهم إذا ذُكروا قيل بنو الأصفر، فعرفوا بذلك، فصار كالاسم لهم.

1. مبروك المعشاوي وتوفيق العرفاوي: شعرية النص الحماسي عند ابي تمام والمتنبي وابن هانئ.
2. شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي، نشره: أحمد أمين عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1991،
3. صدر الدين بن لحسين البصري: الحماسة البصرية الجزء الأول، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط 1، حيدر آباد، الهند، 1964.
4. ديوان المرقشين، المرقش الأكبر والمرقش الأصغر، تحقيق كارين صادر، دار صادر، ط 1، بيروت، 1998.
5. ديوان النابغة الجعدي، تحقيق واضح الصمد، دار صادر، ط 1، بيروت، 1998.
6. سيد علي المرصفي: الجزء الأول من كتاب أسرار الحماسة، ط 1، مطبعة أبي الهول، القاهرة، 1912.
7. ديوان أبي تمّام، شرح الخطيب التبريزي، المجلّد 3، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، ط 4، القاهرة.
8. ديوان أبي الطيب المتنبي، تصحيح وتعليق عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر.
9. مي يوسف خليفة: ميمية المتنبي، مجالات الإبداع وطبيعة المعالجة، دار عريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
10. ديوان بشار بن برد، الجزء 1، جمع وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور، نشر وزارة الثقافة، بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007.
11. شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، ط 1، بيروت، 1992.
12. ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي، تحقيق أيمن ميدان، كتاب النادي الأدبي الثقافي، 80، ط 1، جدة، 1992.
13. جمال الدين الأتابكي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء 7، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
14. نبيل خالد أبو علي: الاتجاه الديني في شعر الفخر والحماسة في العصرين المملوكي والعثماني، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد الخامس عشر، العدد الثاني، يونيو 2007.
15. ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، المجلد الأول، ط 5، دار المعارف، القاهرة.
16. أبو تمام حبيب بن أوس الطائي: كتاب الوحشيات وهو الحماسة الصغرى، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار المعارف، ط 3، مصر.